حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ

د. إبراهيم عوض

بعث لي أحد نصارى المهجر في الأسبوع الماضي برسالة مِشباكيَّة (مكتوبة بلغة إنجليزية لا بأس بها، وإن لم تخلُ من الأخطاء) يعقِّب فيها على مقالي: "إعلان سيد القمني الاعتزال: خواطر وتساؤلات"، الذي نُشر بجريدة "الشعب" الضوئية يوم الجمعة الموافق 2005/8/20م، لكنه ترك تقريبًا كل ما قلتُه في مقالي المشار إليه فلم يردَّ على شيء منه، اللهم إلا ما كتبتُه عن المعجزات، وأن غيابها عن النسق العقيدي عندنا لا يضرُّ الإسلام في شيء، ورغم هذا جاء تناوُله للموضوع على نحو لم أجد معه داعيًا إلى الخوض فيه كَرَّة أخرى، وبخاصة أنه لم يحقِّق جيدًا ما كتبتُه في هذه النقطة.

ثم ثنَّى فتحدَّى المسلمين أن يستطيعوا الردَّ على ما يوجَّه للقرآن من انتقادات علمية، منها ما يتعلَّق مثلاً بما جاء في الآية 86 من سورة "الكهف" عن ذي القرنين ومشاهدته الشمس وهي تغرُب في عين ماء، مما يخالِف حقائق علوم الفلك كما قال، وفي نهاية الرسالة لم ينسَ أن يرجو لنا أن نُفيق من الغاشية التي تطمِس على أبصارنا منذ أربعة عشر قرنًا من الظلام، وأن نعود إلى المسيح بعد أن بيَّن لنا هو وأمثاله مقدار الجهل الكبير الذي يتصِف به الله ومحمد حسبما قال: يا شيخ، فأل الله ولا فألك! أتريدنا أن نرتدَّ على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، ونعود إلى العصر الحجري في مسائل العقيدة والعبادة؟ ألم تقرأ قول الحق – تبارك وتعالى –: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة: 30]؟ لا يا عم، يفتح الله! خلِّك فيما أنت فيه، ولنبقَ نحن أيضًا في النور والهدى الذي أكرَمنا الله به على يد سيد النبيين والمرسلين – صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين – وقد كتبتُ هذه الكلمة على الطائر وأنا على جناح سفر، ولم يرنق النوم في عيني طوال الليل إلا لساعة أو أقل دون سبب واضح، فلم يتسنَّ لي تدقيق مراجعتها، ولعلي لم أُخطئ فيها أخطاء فاحشة، وإلا فإني أعتذِر مقدَّمًا من الآن.

والآية التي يشير إليها صاحب الرسالة هي قوله –تعالى–: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ (أي ذو القرنين) مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} [الكهف: 86]، وأدخُل في الموضوع على الفور فأقول: من المعروف في كتب اللغة أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، بمعنى أن هناك توسُّعًا في استعمالها، بل إن في اللغة توسعات كثيرة في غير حروف الجر أيضًا، وإن لم تكن هذه التوسعات

دون ضوابط حتى لو لم نستطع في بعض الأحيان أن نتنبَّه لها، أو على الأقل حتى لو لم نتَّفق عليها، وقد تُسَمَّى هذه التوسعات بـ: "المجاز"، وهو ما يعني أن الكلام لا ينبغي أن يؤخذ على ظاهره أو حرفيته، وهذا -كما سبَق القول - معروف عند دارسي اللغات، ولنأخذ حرف الجر "في" (الموجود في الآية) لنرى ماذا يقول النُّحاة في استعمالاته: فهم يقولون: إنه يستخدم في عشرة معانٍ: الأول: الظرفية، زمانًا أو مكانًا، حقيقة أو مجازًا، ومن الزمانية: "حضرتُ إلى الاجتماع في العاشرة مساء"، ومن المكانية: "سكنتُ في هذا البيت أعوامًا طوالاً"، الثاني: المصاحبة، نحو قوله -تعالى-: {ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ} [الأعراف: 38]؛ أي: بمصاحبتها، الثالث: التعليل، نحو: {فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ} [يوسف:32]؛ أي: بسببه، الرابع: الاستعلاء، نحو قوله -تعالى-: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} [طه: 71]؛ أي عليها، الخامس: مرادفة الباء، نحو: "فلان بصير في الموضوع الفلاني"؛ أي بصير به.

السادس: مرادفة "إلى"، نحو قوله -تعالى-: {فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ} [إبراهيم: 9]؛ أي: مد الكفارُ أيديهم إلى أفواه الرسل ليمنعوهم من الدعوة إلى الهدى والنور.

السابع: مرادفة "من".

"الثامن: المقايسة، وهي الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق؛ كما في قوله - سبحانه -: {فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} [التوبة: 38]؛ أي: إن متاع الحياة الدنيا بالقياس إلى الآخرة قليل.

التاسع: التعويض؛ كما في قولنا: "دفعتُ في هذا الكتاب عشرين جنيهًا"، العاشر: التوكيد، وأجازه بعضهم في قوله -تعالى-: {وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا} [هود: 41]؛ أي: إن الركوب لا يكون إلا في السفينة؛ ولذلك لا ضرورة للنَّص على ذلك إلا من باب التوكيد (انظر في ذلك مثلاً "مغني اللبيب"؛ لابن هشام).

وفي القرآن الكريم نقرأ قوله - عز وجل -: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ} [البقرة: 19]، والمقصود أن كلاًّ منهم يضع طرف إصبع واحدة من أصابعه عند فتحة الأذن، لا في داخلها، ونقرأ: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: 30] وطبعًا لم يجعلِ المولى الإنسان خليفة في الأرض، أي في باطنها، بل على سطحها، ونقرأ: {وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} [البقرة: 93]، وليس المقصود العجل نفسه بل عبادته، وهي لا تُشرب ولا تدخل في القلب بالمعنى الذي نعرفه، ونقرأ: {قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ}

[البقرة: 139]، أي أتحاجُّوننا بشأن الله؟ ونقرأ: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا} [البقرة: 144]؛ أي: صوب نواحي السماء، وليس في السماء فعلاً، ونقرأ: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ} [البقرة: 177]، والإنسان لا ينفق ماله في الرقاب، بل يعتق به الرقاب، ونقرأ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى} [البقرة: 178]، أي مقابل جريمة القتل وتعويضًا لأهل القتيل، ونقرأ: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا} [البقرة: 205]، أي فوقها، ونقرأ:{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ} [البقرة:210]؛ أي: يقع بهم عقاب الله في هيئة ظُلل من الغمام، ونقرأ: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ} [البقرة: 240]؛ أي فعلنَ بأنفسهن، ونقرأ:{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ} [الأعراف: 145]؛ أي: على الألواح، ونقرأ: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً} [الأنفال: 44]؛ أي أمام أعينكم وأعينهم، ونقرأ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى} [الأنفال: 70]، ولا يمكن إنسانًا أن يكون في يد إنسان آخر بالمعنى الحرفي كما هو واضح، ونقرأ: {الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي} [الكهف: 101]، والعيون لا تكون في الغطاء، بل تحت الغطاء، ونقرأ: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً} [الحج: 27]؛ أي: أذِّنْ بحيث يَسمعك الناس، ونقرأ: {وَتَقَلُّبَكَ فِي} [الشعراء: 219]؛ أي: معهم، ونقرأ: {فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} [العنكبوت: 10]؛ أي: أوذي بسبب إيمانه بالله، ونقرأ: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ} [سبأ: 15]، والجنتان لم تكونا في مساكن سبأ، بل حولها أو قريبًا منها: {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} [الزخرف: 18]، والنساء لا يُنشَّأنَ في الحلية، بل مُرتديات لها، ومستمتِعات بها، ونقرأ: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ} [القمر: 54]، والمتقون في الآخرة سيكونون فعلاً في الجِنَان، لكنهم بكل تأكيد لن يكونوا في الأنهار، بل ستجري الأنهار في الجِنان، ونقرأ: {فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ} [الواقعة: 28]، وهم لن يكونوا في الجنة في شجر السدر، بل سيأكلون منه، ونقرأ: {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ} [المجادلة: 22]، ولا كتابة في القلوب بالمعنى الظاهري بطبيعة الحال ولا حتى فوقها، ونقرأ: {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة: 32]؛ أي: اربُطوه بها،

ونقرأ: {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} [المسد: 5]؛ أي: حول جيدها، وهكذا.

وفي الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى أمثلة كثيرة على ما نقول، وهو أمر طبيعي؛ فهذه هي طبيعة اللغة، سواء في كتاب الله أو في كلام أهل الكتاب أو في أي كلام آخر، وهذه بعض الأمثلة من الكتاب المذكور: "كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض"؛ (تكوين: 5/2)، "وكان قابين عاملاً في الأرض"؛ (تكوين: 2/4)، "وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب"؛ (تكوين: 8/6)، "كان نوح رجلاً بارًّا كاملاً في أجياله"؛ (تكوين: 9/6)، "تنجح طريقي الذي أنا سالك فيه"؛ (تكوين: 42/24)، "فوضعتِ الخزامة في أنفها"؛ (تكوين: 47/24)، "فأحبَّ إسحق عيسو لأن في فمه صيدًا"؛ (تكوين: 28/25)، "فتَعاظم الرجل وكان يتزايد في التعاظم"؛ (تكوين: 13/26)، "فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما أنا آمرك به"؛ (تكوين: 8/27)، "ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض"؛ (تكوين: 14/28)، "وخلَع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف وألبَسه ثياب بوص ووضَع طوق ذهب في عنقه"؛ (تكوين: 42/41)، "فتقدَّموا إلى الرجل الذي على بيت يوسف وكلَّموه في باب البيت"؛ (تكوين: 19/43)، "أليس هذا هو الذي يشرب سيدي فيه؟"؛ (تكوين: 5/44)، "وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم في العجلات التي أرسَل فرعون الحَمَلة"؛ (تكوين: 5/46)، "ومرَّروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل"؛ (خروج: 14/1)، خرج إلى إخوته لينظُر في أثقالهم"؛ (خروج: 11/2)، "ما بالكن أسرعتُنَّ في المجيء اليوم"؛ (خروج: 18/2)، "وقال الرب لموسى: عندما تذهب لترجع إلى مصر انظُر جميع العجائب التي جعلتها في يدك واصنعها قدَّام فرعون"؛ (خروج: 21/4)، "فذهب والتقاه في جبل الله وقبَّله"؛ (خروج: 27/4)، هما اللذان كلَّما فرعون ملك مصر في إخراج بني إسرائيل من مصر"؛ (خروج: 27/6)، "الدمامل كانت في العراقيين وفي كل المصريين"؛ (خروج: 11/9)، "تخبر في مسامع ابنك وابن ابنك بما فعلته في مصر وبآياتي التي صنعتها بينهم"؛ (خروج: 2/10)...إلخ، وهي بالمئات، إن لم تكن بالألوف، ومن هنا كان من السهل أن ندرِك معنى قول القرطبي مثلاً في الآية المذكورة: "ويجوز أن تكون الشمس تغيب وراءها (أي وراء العين الحَمِئة) أو معها أو عندها، فيقام حرف الصفة مقام صاحبه".

يقصِد أن حروف الجر قد ينوب بعضها عن بعض، بمعنى أن يُستعمل بعضها في مكان بعضها الآخر، وفي نفس المجرى يجري ما نجده عند البغوي وأبي حيان؛ إذ نقرأ في تفسير الأول نقلاً عن

القتيبي أنه يجوز أن يكون المعنى هو أنه كان "عند الشمس" أو "في رأي العين" عين حَمِئة، أما الثاني فقد ذكَر أن بعض البغداديين يفسِّر قوله –تعالى–: {فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} [الكهف: 86]، بمعنى "عند عين حمئة".

بل إن في الكتاب المقدس عبارات كثيرة من نوع الآية القرآنية التي بين أيدينا، بل أَوْغَل في مضمار الاستخدامات المجازية، ويقرؤها هؤلاء الذين يردِّدون تخطئة القرآن كما تفعل الببغاوات الغبية، لكن دون فهم أو تمييز، ومن ثم لا يخطُر في بالهم أن يقِفوا ويتدبَّروا ويفكِّروا في أمر هذا التشابه في الاستعمالات الأسلوبية وأنه مسألة عادية جدًّا، هكذا كانت اللغة، وهكذا ستظلُّ إلى يوم يبعثون، وهم في هذا كالكلب الذي ربَّاه صاحبه على نِباح المارة وعضِّهم، فكلما رأى شخصًا مارًّا من أمام البيت نبحه وعضَّه دون تفكير، لنأخذ مثلاً الشواهد التالية: "أما هما في عبر الأردن وراء طريق غروب الشمس في أرض الكنعانيين"؛ (تثنية: 30/11)، "هكذا يبيد جميع أعدائك يا رب، وأحباؤه كخروج الشمس في جبروتها"؛ (قضاة: 31/5)، "هكذا قال الرب: هأنذا أُقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينَيك وأعطيهنَّ لقريبك فيضطجِع مع نسائك في عين هذه الشمس"؛ (صموئيل: 11/12/2)، "وقلتُ لهما: لا تفتح أبواب أورشليم حتى تحمي الشمس"؛ (نحيا: 3/7)، "قدَّام الشمس يمتد اسمه"؛ (مزامير: 17/72)، "ثم رجعت ورأيت كل المظالم التي تجري تحت الشمس"؛ (الجامعة: 1/4)، "ويخجل القمر وتخزى الشمس"؛ (إشعيا: 23/24)، "وأظلَمت الشمس وانشقَّ حجاب الهيكل من وسطه"؛ (لوقا: 44/23)، "إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أختفي وأكون تائهًا وهاربًا في الأرض، فيكون كل من وجَدني يقتلني"؛ (تكوين: 14/4)"، و"فسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض ظلمًا"؛ (تكوين: 11/6)، "الآن قُم اخرج من هذه الأرض"؛ (تكوين: 13/31)، "وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أُعطيها لإبراهيم"؛ (خروج: 8/6)، "واستراحت الأرض من الحرب"؛ (يشوع: 15/14)، "دور يَمضي ودور يجيء والأرض قائمة إلى الأبد"؛ (جامعة: 4/1)، "فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية، على العين التي في طريق شور"؛ (تكوين: 7/16)، ومن الواضح أن هذا كله على خلاف الواقع، وينبغي ألا يأخذه القارئ مأخذًا حرفيًّا، وإلا لم يكن للكلام معنى: فمثلاً ليس هناك للشمس تحتٌ ولا فوقٌ، وإنما هو تعبير بشري، فنحن أينما كنا على الأرض نتصوَّر أن الشمس فوقنا، ومن ثم فنحن تحتها، على حين أنه لو كان الأمر كذلك لكان ينبغي إذًا أن نكون "فوق" الشمس بعد ستة أشهر من ذلك حين تدور الأرض نصف دورتها السنوية، وهذا لا يصير، كذلك فليس للشمس عين (ولا أذن ولا أنف) أصلاً حتى نكون

أو لا نكون في عينها، كما أنها ليس لها طريق تسير فيه على الأرض، ودعْك من أننا يمكن أن نسير نحن فيه أيضًا، وبالنسبة لقول قابيل: إنه هرَب في الأرض، فهو مجرد تعبير بشري، وإلا فقولنا: "في الأرض" إنما يعني حرفيًّا: "داخل الأرض"، وهو ما لا يقصِده قابيل ولا أي إنسان آخر في مِثل وضْعه... وهكذا.

وقبل كل ذلك فإن الكلام هنا ليس كلامًا في عِلم الطبيعة أو الجغرافيا أو الجيولوجيا، بل هو كلام أدبي يقوم في جانب منه على التعبيرات المجازية والتجسيدية والتشخيصية وما إلى ذلك، باختصار: هذه هي طبيعة اللغة، أما الكلاب التي تنبَح المارَّة، وتعَضُّهم لا لشيء سوى أنه قد قيل لها: انبحي أيَّ مارٍّ من هنا وعَضِّيه، فإنها لا تفهَم هذا ولا تفقهه ولا تدرِكه ولا تتذوَّقه؛ إذ متى كانت الكلاب تستطيع أن تتذوَّق شيئًا غير العظم المعروف الذي أُكل ما عليه من لحم، ثم أُلقي به لها تعضعضه وتمصمصه تحت الأقدام؟ وعلى هذا فليس هناك أي متعلِّق لأي إنسان كائنًا من كان كي ينتقِد الآية القرآنية إلا إذا كان يريد النباح والعض والسلام، ولا يبغي فهمًا أو معرفة، فالحرف "في" في الآية الكريمة لا يعني "داخل العين الحمئة"؛ لأن الآيات القرآنية التي تذكُر الشمس (كما سنوضِّح لاحقًا) تتحدَّث عنها على أنها جِرْم موجود في الفضاء لا يُغادره أبدًا، بل يعني أنه قد تصادَف وقوع غروب الشمس حين كان ذو القرنين في ذلك المكان عند العين الحمئة، وإن كان ما شاهَده بعينه يوحي أنها قد غرَبت في تلك العين وحتى لو قيل: إنها لم تغرُب في العين، بل وراء العين، أو عند العين، أو ما إلى ذلك، فإن هذا كله لا يصحُّ من الناحية العلمية؛ فالشمس لا تبتعِد ولا تختفي، بل الأرض هي التي تتحرَّك حولها، فتبدو الشمس وكأنها هي التي تغيب، لكني قد عثَرت أثناء تقليبي في المشباك بمن يقول معترِضًا على الآية: إن مثل هذا التوجيه كان يمكن أن يكون مقبولاً لو أن الآية قالت: إن ذا القرنين "رأى" أو "شاهد" الشمس تغرُب في العين، أما والآية تقول: إنه "وجدها" تغرب في عين حمئة، فمعنى هذا أن المقصود هو أنها كانت تغرُب في العين فعلاً، وقد جعلني هذا أفكِّر في استعمال هذا الفعل في مِثل ذلك السياق في العربية لأرى أهو حقًّا لا يعني إلا أن الأمر هو كذلك في الواقع لا في حسبان الشخص وإدراكه، بغض النظر عما إذا كان هذا هو الواقع فعلاً أو لا، وقد تبيَّن لي أن الأمر ليس كما ذهب إليه ذلك المعترِض الذي سمَّى نفسه: "جوتاما بوذا" أو شيئًا كهذا، فنحن مثلاً عندما يسأل الواحد منا السؤال التالي عن صحته: "كيف تجدك اليوم؟" (أي "كيف حالك؟") يجيب قائلاً: "أجدني بخير وعافية"، وقد يكون هذا القائل مريضًا لكنه لا يدري؛ لأن أعراض المرض ليست من الوضوح، أو لأنه من الاندماج في حياته اليومية بحيث لا يتنبَّه لحالته الصحية الحقيقية، وبالمِثل يمكن أن يقول الواحد منَّا

(صادقًا فيما يظن)": إنه وجَد فلانًا يضرب ابنه عند البيت، بينما الحقيقة أنه كان يداعِبه أو كان يضرب ابن الجيران مثلاً، لكن المتكلِّم توهَّم الأمر على ما قال، كذلك فالمصاب بعمى الألوان قد يقول: إنه وجَد البطيخة التي اشتراها خضراء على عكس ما أكَّد له البائع، ثم يكون العيب في الشاري لا في البائع ولا في البطيخة، أما المتنبي في قوله:

ومن يكُ ذا فم مرٍّ مريض = يجد مرًّا به الماءَ الزُّلالاَ

فقد كفانا مؤنة التوضيح بأن وِجداننا الشيء على وضْعٍ ما لا يعني بالضرورة أنه على هذا الوضع في الحقيقة والواقع، وفي القرآن مثلاً: {فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ} [الكهف: 77]، وليس هناك في أي مكان في الدنيا جدار عنده إرادة: لا للانقضاض ولا للبقاء على وضْعه الذي هو عليه؛ لأن الجدران من الجمادات لا من الكائنات الحية ذوات الإرادة، كذلك فعندنا أيضًا قوله – عز شأنه –: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ} [النور: 39]، ولا يمكن القول أبدًا بأن الآية على معناها الحرفي؛ فالله – سبحانه – لا ينحصِر وجوده في مكان من الأمكنة، بل الكون كله مكانًا وزمانًا وكائنات في قبضته – عز وجل – ومن ثم لا يمكن أن ينحصِر وجوده عند السراب، وهذا من البداهة بمكان؛ لأنه – سبحانه وتعالى – هو المطلَق الذي لا يحدُّه حد، والطريف أن بعض المفسِّرين الذين رجعت إليهم بعد ذلك قد وجدتُهم يقولون: إنه لو كانت الآية قالت: إن الشمس "كانت تغرُب" في العين فعلاً لكان ثَمَّ سبيل لانتقادها، أما قولها: إن ذا القرنين "وجدها تغرُب" في العين فمعناه أن ذلك هو إدراكه للأمر لا حقيقته الخارجية، ومن هؤلاء البيضاوي، وهذه عبارته، "ولعله بلَغ ساحل المحيط فرآها كذلك؛ إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء، ولذلك قال: وجدها تغرُب، ولم يقل: كانت تغرُب"، وهذا الذي قاله أولئك المفسرون هو الصواب، وفي الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى شيء مِثل ذلك، ومنه هذا الشاهدان: "وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب"؛ (تكوين: 8/6)، "فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية، على العين التي في طريق شور" (تكوين: 7/16): فالنعمة لا توجد في عين الرب على سبيل الحقيقة، فضلاً عن أن الله لا يمكن أن يُرى ولا أن تُرى عينه (إن قلنا: إن له – سبحانه – عينًا، لكنها ليست كأعيننا)، كما أن المرأة التي وجدها ملاك الرب لم تكن "على" العين، بل "عند" العين؛ أي: إن الحقيقة الخارجية في كِلا الشاهدين لم تكن على حرفية ما جاء في العبارتين.

وعلى هذا النحو يمكننا أن نقرأ الشواهد الشعرية التالية: قال الأسعر الجعفي:

إني وجدتُ الخيل عزًّا ظاهرًا = تنجي مِن الغُمى ويكشِفنَ الدُّجى

وقال الحارث بن عباد:

وامترتْه الجَنوبُ حتى إذا ما = وجدَت فَودَهُ عليها ثقيلاَ

وقال امرؤ القيس:

ألمْ تَرياني كلما جئتُ طارقًا = وجدتُ بها طيبًا وإن لم تطيَّب؟

وقال الدحداحة الفقيمية:

من معشرٍ وجدتهم لئامَا

وقال حاتم الطائي:

إذا أوطَنَ القومُ البيوت وجدتَهم = عُماةً عن الأخبار خُرْقَ المكاسب

وقال النابغة الذبياني:

متى تأتِهِ تَعشو إلى ضوء ناره = تجد خيرَ نار عندها خيرُ مَوْقِد

وقال مالك بن عمرو:

متى تفخَر بزَرعةَ أو بحِجْرٍ = تجد فخرًا يطيرُ به السناءُ

وقال الحصين بن الحمام الفزاري:

تأخرتُ أستبْقي الحياةَ فلم أجِد = لنفسي حياةً مِثل أن أتقدَّما

ذلك أن وِجدانك الشيء على وضْع من الأوضاع إنما يعني إدراكك له على هذا الوضع رؤية أو سماعًا أو شمًّا أو لمسًا أو شعورًا باطنيًّا أو استدلالاً عقليًّا، كما في العبارات التالية: "نظرتُ فوجدتُه قائمًا"، أو "حينما اقتربت من الحجرة وجدتُه يغنِّي"، أو "قرَّبت الزهرة من أنفي فوجدتها مسكية العبير"، أو "احتكَّت يدي بالحائط فوجدتُه خَشِن الملمس"، أو "وجدتُ وقْع إهانته لي عنيفًا"، أو "أعاد العلماء النظر في هيئة الأرض فوجدوها أقرَب إلى شكل الكرة"، ثم سواء عليك بعد هذا أكان هو فعلاً في الواقع والحقيقة كذلك أم لا، وفي ضوء ما قلناه نقرأ قول الزبيدي صاحب "تاج العروس": "وقال المصنف في البصائر نقلاً عن أبي القاسم الأصبهاني: الوجود أضرُب، وجود بإحدى الحواس الخمس، نحو: وجدت زيدًا، ووجدت طعمه ورائحته وصوته وخشونته، ووجود بقوة الشهوة، نحو: وجدتُ الشِّبع، ووجود أيده الغضب كوجود الحرب والسُّخط، ووجود بالعقل أو بوساطة العقل، كمعرفة الله تعالى، ومعرفة النبوَّة، وما نُسِب إلى الله –تعالى– من الوجود فبمعنى العلم المجرَّد؛ إذ كان الله –تعالى– وكذا المعدوم يُقال على ضد هذه الأوجه، ويعبر عن التمكُّن من

الشيء بالوجود نحو: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة: 5]؛ أي: حيث رأيتموهم، وقوله -تعالى-: {إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ} [النمل: 23]، وقوله: {وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ} [النمل: 24]، وقوله: {وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ} [النور: 39]، ووجود بالبصيرة، وكذا قوله: {وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا} [الأعراف: 44]، وقوله: {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا} [النساء: 43]؛ أي: إنْ لم تقدِروا على الماءِ".

ولقد كفانا مؤنةَ المضيِّ أبعَدَ من ذلك (على كفايته في حد ذاته) كاتبان ألَّفا بحثًا عثَرت عليه في المشباك بعنوان: " Islam and the setting of the sun. Examining the traditional muslim vew of the sun,s Orbit" يهاجِمان فيه القرآن، ويزعُمان أن الرسول حين قال ما قال في الآية التي نحن بإزائها هنا إنما كان يقصِد فعلاً أن الشمس تغرب في عين حمئة على حَرفيَّة معناها، ومع هذا فقد بدأا كلامهما بالقول بما معناه أن تعبيرًا مِثل التعبير الذي في الآية الكريمة لا يدلُّ بالضرورة على أن صاحبه قد اجترَح خطأ علميًّا أو أنه يعتقِد أن الشمس تغرُب فعلاً في العين، ثم أضافا أننا، حتى في عصرنا هذا حيث يعرف الجميع تمامًا أن الشمس في الواقع لا تشرق ولا تغرب، ما زلنا نقول: إنها تشرق وتغرب، والكاتبان هما: Sam shamaunn و Jochen katz"، وهذا نص ما قالاه:

We do need to make it clear that statements about the sun rising or setting do not, in and of themselves, prove that a person or author held to erroneous scientific views, or made a scientific error. One can legitimately argue that person or author in question is using everyday speech, ordinary language, or what is called phenomenological language. From the vantage point of the person who is viewing the sun from the earth, the sun does indeed appear to be rising and sttting. In fact, even today with all our advaneed scientific knowledge we still refer to sunrise and sunset. Hence, an ancient book or writer may have not intended to convey actual scientific phenomena when describing the sun as rising or setting any more that today’s meteorologists, or newscasters, are speaking scientifically when referring to the resing and setting of the sun.

وقد أخذتُ أنقر في النصوص الإنجليزية والفرنسية الموجودة في المشباك حتى عثرتُ على طائفة من

الشواهد النثرية والشعرية يتحدَّث فيها أصحابها لا على أن الشمس تُشرق وتغرب فحسب، بل عن سقوطها أو غوصها أو غروبها في البحر أو في السهل أو ما إلى هذا، وإلى القارئ عيِّنة مما وجدتُه من تلك النصوص:

Alone stood I atop a little hill, And beheld the light - blue " sea lying still, and saw the sun go down into the sea.

"sun sinks down (من قصيدة بعنوان "AN EPISTLE" لـNumaldasan)، into the sea" (من رواية "The water Babies" لـCharles kingsley)، "the sun came up upon the left, out of the sea came he! And he shone bright, and on the right went down into the sea" (من قصيدة "the Rime of the Ancient Mariner" لكوليردج)، "the red sun going down into the sea at scheveningen" (من Letter from theo van Gogh to Vincent Gogh van auvers - sur-Oise, 30 June1890")

" The sun sank slowly into the sea" (من مقال "the Light of the setting sun" لـ"Rocky")، "Just then the sun plunged into the sea it popped out from behind the gray cloud screen that had obscured the fiery disk" (من مقال بعنوان "Taps for three war buddies" في موقع "sun-herald.com")، "le soleil descendre dans locean"... (من "Lile des pingouins" لأناتول فرانس)، "Le soleil, disparu dans la mer, avait laisse le ciel tout rouge, et cette lueur saignait aussi sur les grandes pierres, nos voisines" (من "En Bretagne" لجي دي موباسان)، "Spectacle saisissant, que le soleil couchant dans ces dunes impressionnantes" (من مقال "RAID EN LIBYE" لـRoge Vacheresse)، "On comprend aussi que la blessure de Reginald a quelque chose du soleil plongeant dans la mer" (من "LES CHANTS DE MALDOROR" لـle comte do Lautreamont.)

هذا، ومن معاني "العين" في العربية (فيما يهمُّنا هنا) حسبما جاء في "لسان العرب": عين الماء،

والعين: التي يخرج منه الماء، والعين: يَنبوع الماء الذي ينبُع من الأرض ويجري، ويقال: غارت عين الماء، وعين الركية: مَفجَر مائها ومنبعُها، وفي الحديث: "خير المال عين ساهرة لعين نائمة"، أراد عين الماء التي تجري ولا تنقطع ليلاً ونهارًا، وعين صاحبها نائمة، فجعل السهر مثلاً لجريها، وعين القناة: مصبُّ مائها، والعين من السحاب: ما أقبَل من ناحية القِبلة وعن يمينها، يعني قِبلة العراق، وفي الحديث: إذا نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غَديقة، والعين: مطر أيام لا يُقلِع، وقيل: هو المطر يدوم خمسة أيام أو ستة أو أكثر لا يُقلِع؛ قال الراعي:

وأنآء حي تحت عين مَطيرةٍ = عِظام البيوت يَنزِلون الروابيا

والعين: الناحية"، وعلى هذا فعندما يقول عبدالفادي (اقرأ: "عبدالفاضي") مؤلف كتاب: "هل القرآن معصوم؟" (وهو جاهل كذَّاب من أولئك الجهلاء الكَذَبة الذين يشغبون على كتاب الله المجيد): إن القرآن – بِناءً على ما جاء في تفسير البيضاوي – يذكُر أن الشمس تغرُب في بئر، فإننا نعرف في الحال أنه يتكلَّم بلسان الكذب والجهل: فأما الجهل فلأن المسألة، حسبما رأينا في "لسان العرب"، أوسَع من ذلك كثيرًا بحيث تصدُق كلمة "العين" على البحر والسحاب والمطر أيضًا؛ ولذلك وجدنا من المترجمين من يترجِمها بمعنى "بحر" أو "بحيرة"، فضلاً عن أنه من غير المستبعَد أن يكون المعنى في الآية هو ذلك النوع المذكور من السحاب أو المطر، وأما الكذب، فلأن البيضاوي لم يقل هذا، بل قال: "حتى إذا بلَغ مغرب الشمس وجدها تغرُب في عين حَمِئة: "ذات حمأ"، من "حمئت البئر" إذا صارت ذات حمأة.

وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر: "حامية"؛ أي: حارَّة، ولا تَنافِيَ بينهما لجواز أن تكون العين جامعة للوصفين، أو "حمية" على أن ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسْر ما قبلها، ولعلَّه بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك؛ إذ لم يكن في مطمَح بصره غير الماء، ولذلك قال: "وَجَدَهَا تَغْرُبُ"، ولم يقل: "كانت تغرب"؛ فكما ترى ليس في البيضاوي أنها غربت في بئر، بل كل ما فعله المفسِّر الكبير أنه اتَّخذ من "البئر" مثالاً لشرح كلمة "حَمِئة"، لكنه لم يقل قط: إن معنى "العين" هو "البئر"، بل قال ما نَصُّه: لعل ذا القرنين قد بلَغ ساحل المحيط فرآها كذلك، وحتى لو قال ذلك، فإن كلامه يبقى مجرد اجتهاد منه قد يصحُّ أو لا يصح، ولا يجوز حمْله على القرآن أبدًا، وبخاصة أن كثيرًا من المفسرين كذلك لم يفسِّروا العين بهذا المعنى، بيد أننا هنا بصدد جماعة من الطغام البُلداء الرُّقعاء الذين كل همِّهم هو الشغَب بجهل ورعونة؛ إذ هم في واقع الأمر وحقيقته لا يعرفون في الموضوع الذي يتناوَلونه شيئًا ذا بال، ومع هذا نراهم يتطاولون على القرآن الكريم! فيا للعجب!

إن الواحد من هؤلاء الطغام يتصوَّر، وهو يتناول الكلام في كتاب الله، أنه بصدد كراسة تعبير لطفل في المرحلة الابتدائية، بل إن معلوماته هو نفسه لا تزيد بحال عن معلومات طفل في تلك المرحلة كما تبيَّن لي وبيَّنته للقراء الكرام في كتابي: "عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين"، الذي فنَّدت فيه كلام هذا الرقيع، ومسَحت به وبكرامته وكرامة من يقِفون وراءه الأرض!

وهأنذا أسوق أمام القارئ الكريم بعض ما جاء في كتب التفسير القديمة: ففي القرطبي مثلاً: "وقال القفال: قال بعض العلماء: ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغرِبًا ومشرِقًا، ووصل إلى جِرْمها، ومسَّها؛ لأنها تدور مع السماء حول الأرض من غير أن تلتصِق بالأرض، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافًا مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جِهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها في رأي العين تغرُب في عين حمئة، كما أنَّا نشاهِدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض؛ ولهذا قال: وجدها {تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا} [الكهف: 90]، ولم يُرِد أنها تطلُع عليهم بأن تُماسّهم وتلاصِقهم، بل أراد أنهم أول من تطلُع عليهم، وقال القتبي: ويجوز أن تكون هذه العين من البحر، ويجوز أن تكون الشمس تغيب وراءها أو معها أو عندها، فيُقام حرف الصفة مقام صاحبه، والله أعلم"، وفي ابن كثير: "وقوله: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ} [الكهف: 90]؛ أي: فسَلك طريقًا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب، وهو مغرب الأرض، وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذِّر، وما يذكره أصحاب القصص والأخبار من أنه سار في الأرض مدة، والشمس تغرب من ورائه، فشيء لا حقيقة له، وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاق زنادقتهم وكذِبهم، وقوله: {وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ} [الكهف: 86]؛ أي: رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرُب فيه، وهي لا تفارِق الفلك الرابع الذي هي مُثبتة فيه لا تفارِقه، وفي الجلالين: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ} [الكهف: 90]: موضعَ غروبها {وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} [الكهف: 86]: ذات حَمْأة، وهي الطين الأسود، وغروبها في العين: في رأي العين، وإلا فهي أعظم من الدنيا"، وأرجو ألا يَغيب عن ناظر القارئ الحصيف كيف أن ابن كثير يلقي باللوم في أمر التفسيرات الخرافية في الآية على زنادقة أهل الكتاب وكذَّابيهم، مما يدلُّ على أن القوم هم هكذا من قديم لم تتغيَّر شنشنتهم، وأن فريقًا من علمائنا كانوا واعين بالدور الشرير الذي كانوا يضطلِعون به لتضليل المسلمين بإسرائيلياتهم، وكانوا يعملون على فضْح سُخْفهم ومؤامراتهم.

أما الرازي فإني أودُّ أن نقف معه قليلاً لنرى كم يبلغ جهل عبدالفاضي وبلادته وتدليسه هو وأشباهه؛ إذ إن مفسِّرنا العظيم قد أشبَع القول في هذا الموضوع بما يكفي لقطع لسان كل زنديق كذَّاب، قال العلامة المسلم – عليه رضوان الله –: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا} [الكهف: 86 – 89]: اعلَم أن المعنى أنه أراد بلوغ المغرب فأتْبع سببًا يوصِّله إليه حتى بلَغه، أما قوله: (وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) ففيه مباحث: الأول: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم "في عين حامية" بالألف من غير همزة، أي حارة، وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عامر، والباقون: "حمئة"، وهي قراءة ابن عباس، واعلَم أنه لا تَنافي بين "الحمئة"، و"الحامية"، فجائز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعًا.

البحث الثاني: أنه ثبَت بالدليل أن الأرض كرة وأن السماء مُحيطة بها، ولا شك أن الشمس في الفلك، وأيضًا قال: {وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا}، ومعلوم أن جلوس قوم في قُرب الشمس غير موجود، وأيضًا الشمس أكبر من الأرض بمرات كثيرة، فكيف يُعقَل دخولها في عين من عيون الأرض؟ إذا ثبَت هذا فنقول: تأويل قوله: {تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} من وجوه، الأول: أن ذا القرنين لما بلَغ موضعها في المغرب، ولم يبقَ بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهدة مظلِمة، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم يرَ الشط، وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر، هذا هو التأويل الذي ذكَره أبو علي الجبائي في تفسيره، الثاني: أن للجانب الغربي من الأرض مساكن يحيط البحر بها، فالناظر إلى الشمس يتخيَّل كأنها تغيب في تلك البحار، ولا شكَّ أن البحار الغربية قوية السخونة فهي حامية، وهي أيضًا حمئة؛ لكثرة ما فيها من الحمأة السوداء والماء، فقوله: {تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} إشارة إلى أن الجانب الغربي من الأرض قد أحاط به البحر، وهو موضِع شديد السخونة، الثالث: قال أهل الأخبار: إن الشمس تغيب في عين كثيرة الماء والحَمْأة، وهذا في غاية البُعد؛ وذلك لأنا إذا رصدنا كسوفًا قمريًّا فإذا اعتبرناه ورأينا أن المغربيِّين قالوا: "حصَل هذا الكسوف في أول الليل"، ورأينا المشرقيِّين قالوا: "حصل في أول النهار"، فعلِمنا أن أول الليل عند أهل المغرب هو أول النهار الثاني عند أهل المشرق، بل ذلك الوقت الذي هو أول الليل عندنا فهو وقت العصر في بلد، ووقت الظهر في بلد آخر، ووقت الضحوة في بلد ثالث، ووقت طلوع الشمس في بلد رابع، ونصف الليل

في بلد خامس. وإذا كانت هذه الأحوال معلومة بعد الاستقراء والاعتبار، وعلِمنا أن الشمس طالعة ظاهرة في كل هذه الأوقات كان الذي يُقال: إنها تغيب في الطين والحَمْأَة كلامًا على خلاف اليقين، وكلام الله -تعالى- مبرَّأ عن هذه التهمة، فلم يبقَ إلا أن يُصار إلى التأويل الذي ذكرناه، ثم قال -تعالى-: {وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا}، الضمير في قوله: "عندها" إلى ماذا يعود؟ فيه قولان: الأول: أنه عائد إلى الشمس، ويكون التأنيث للشمس؛ لأن الإنسان لما تخيَّل أن الشمس تغرُب هناك كان سكان هذا الموضِع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس، والقول الثاني: أن يكون الضمير عائدًا إلى العين الحامية، وعلى هذا القول فالتأويل ما ذكرناه".

ومع هذا كله يريد الكاتبان المذكوران آنفًا (Sam Sahamoun وJochen Katz)، أن يُعيدانا مرة أخرى إلى المربع رقم واحد، إذ يقولان: إن مؤلِّف القرآن (يقصِدان بالطبع الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – نعم عليه الصلاة والسلام رُغم أنفهما وأنف رشاد خليفة وتابعة قُفّة) قد ذكَر أن ذا القرنين وجد الشمس تغرب في عين حمئة، ولم يقل: إنها كانت تبدو له كذلك، وهذا رغم قولهما: إننا لا نزال حتى الآن، ورُغم كل التقدم العلمي والفلكي والجغرافي، نقول: إن الشمس تشرق وتغرب، ولم يقولا: إن على الواحد منا أن يوضِّح أن الأمر إنما يبدو فقط كذلك، فلماذا الكيل بمكيالين هنا؟ ترى أي خُبْث هذا الذي أتياه حين أرادا في البداية أن يتظاهرا بالموضوعية والحياد والبراءة كي يخدِّرا القارئ ويوهِماه أنهما لا يريدان بالقرآن شرًّا ولا تدليسًا، ثم سَرعان ما يَستديران بعد ذلك ويلحسان ما قالاه؟

ثم يمضي العالِمان النِّحريرانِ فيقولان: إن القرآن يؤكِّد أن ذا القرنين قد بلَغ فعلاً المكان الذي تغرب فيه الشمس، وهو ما لا وجود له على الأرض، مما لا معنى له البتة، إلا أن مؤلِّف القرآن قد ارتكَب خطأ علميًّا فاحشًا بظنِّه أن القصة الخرافية التي وصلت إلى سمعه هي حقيقة تاريخية:

"However, the Quran goes beyond what is possible in phenomenological language when it states that zul - qarnain reached the place where the sun sets, I,e. the quran is speaking of a human being who traveled to the place of the setting of the sun. Such a staternent is wrong in any kind of language, since such a place does not exist on this earth. This is a serious error that was introduced into the Quran because the author mistook a legend to be literal and historical truth"

أي إن سيادتهما يَريان أن كلمة "مغرب الشمس" لا تعني إلا مكان غروب الشمس، وأن معنى الكلام لا يمكن أن يكون إلا ما رأياه بسلامتهما، فلننظر إذًا في هذا الكلام لنرى نحن أيضًا مبلَغه من العلم أو الجهل: فأما أنَّ "غروب الشمس" لا تَعْني هنا إلا المكان الذي تغرب فيه الشمس فهو كلام غبي كصاحبيه؛ إذ إن صيغة "مفعِل" (التي جاءت عليها كلمة "مغرِب") قد تعني المكان، أو قد تعني الزمان، بل قد تعني المصدرية فقط، وهو ما يَجِده القارئ في كتب الصرف والنحو في بابي "اسم الزمان والمكان" و"المصدر الميمي"؛ أي إن الآية قد يكون معناها أن ذا القرنين قد بلَغ مكان غروب الشمس أو أن يكون قد بلَغ زمان غروبها؛ إذ البلوغ كما يقع على المكان فإنه يقع على الزمان أيضًا (فضلاً عن الأشياء والأشخاص)، جاء في مادة "بَلَغَ" من "تاج العروس": بلغ المكان، بُلوغًا، بالضم: وصَل إليه وانتهى، ومنه قوله –تعالى–: { لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ} [النحل: 7]، أو بلغه: شارَف عليه، ومنه قوله –تعالى–: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} [البقرة: 234]؛ أي: قارَبنه، وقال أبو القاسم في "المفردات": البلوغ والإبلاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصِد والمنتهى، مكانًا كان أو زمانًا، أو أمرًا من الأمور المقدَّرة، وربما يعبَّر به عن المشارَفة عليه، وإن لم يُنتهَ إليه، فمن الانتهاء: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} [الأحقاف: 15]، و{مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ} [غافر: 56]، {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ} [الصافات: 102]، و{لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ} [غافر: 36]، و{أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ} [القلم: 39]؛ أي: منتهية في التوكيد، وأما قوله: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} [الطلاق: 2]، فللمُشارَفة، فإنها إذا انتهت إلى أقصى الأجل لا يصحُّ للزوج مراجعتها وإمساكها، وبلَغ الغلام: أدرَك، وبلغ في الجَودة مبلغًا، كما في "العباب"، وفي "المحكم": "أي احتَلَم، كأنه بلَغ وقت الكتاب عليه والتكليف، وكذلك: بلَغتِ الجارية".

فإذا كان بلوغ الزمان (أو حتى بلوغ الحَدَث، أي المصدر) هو المقصود في الآية الكريمة فلا مشكلة، إذ سيقال حينئذ: إن ذا القرنين حين أتى عليه وقت المغرب وجد كذا وكذا، لكن ماذا لو كان مكان غروب الشمس هو المراد؟ والجواب هو أن الكاتبَينِ الألمعِيَّين أنفسهما قد ذكرا ما معناه أنه لا غضاضة في أن يقول المتكلِّم حتى في عصرنا هذا: إن الشمس قد غربت في البحر أو في السهل أو فيما وراء الجبل... إلخ، أليس كذلك؟ فهذا إذًا هو مغرب الشمس طبقًا لما تُجيزه اللغة الظاهراتية (phenomenological language) حسَب تعبيرهما، وعليه فإنه يجوز أيضًا أن يقال: إن فلانًا أو علانًا أو ترتانًا قد بلَغ مغرب الشمس، أي وصل إلى البحر أو الجبل أو السهل الذي رآها تغرُب عنده، وعلى هذا أيضًا فلا مشكلة! وأنا أحيلهما إلى ما سقْته في هذا

المقال من تعبيرات مشابِهة في الكتاب المقدس، ومنها ما هو أبعدُ من الآية القرآنية في انتجاع هذه الاستمعالات المجازية! فما قول سيادتهما إذًا؟ ألا يرى القارئ معي أن الأسداد قد ضُربت عليهما تمامًا فلا يستطيعان أن يتقدَّما خطوة ولا أن يتأخَّرا؟ وبالمناسبة فقد تكرَّر الفعل "بلَغ" في صيغتي الماضي والمضارع هنا سبع مرات، وهو ما لم يتحقَّق لأية سورة أخرى غيرها، كما تعدَّدت صيغة "مفعِل" فيها: "مسجد، موعد (مرتين)، مَوْبِق، مَصْرِف، مَوْئِل".

والعجيب أنهما يُورِدان بعد ذلك عددًا من النصوص القرآنية المجيدة التي تتحدَّث عن لزوم الشمس والقمر مسارًا سماويًّا دائمًا لا يخرجان عنه، وهو ما يعضِّد ما قلناه من أن الأمر في قصة ذي القرنين: إنما هو استعمالٌ مجازي أو وصفٌ لِما كان يظنُّه ذلك الرجل في نفسه بخصوص غروب الشمس لا لما وقع فعلاً خارج ذاته؛ لأن القرآن يؤكِّد وجود مسارات سماوية دائمة لهذين الجِرمين، بيد أنهما كعادتهما يحاولان عبثًا لَيَّ الآيات الكريمة عن معناها؛ كي تدلَّ على ما يريدان هما على سبيل القسر والتعنت! وعلى هذا فقول المؤلِّفينِ: إنه إذا كان المفسِّرون المسلمون يشرحون الآية القرآنية بما يَصرِفها عن معناها الحرفي فذلك لأنهم يعرفون أن الشمس أكبر من الأرض، ومن ثم يستحيل أن تَسعَها أيُّ عين فيها، ولأنهم أيضًا يؤمنون بعصمة القرآن مما يدفعهم من البداية إلى تأويل الآية بحيث لا تدلُّ على أن ثمة خطأ علميًّا قد ارتُكِب هنا، أكرِّر أن قول المؤلِّفَين هذا هو قول متهافِت بِناء على ما أورداه من أنفسهما من آيات قرآنية تنصُّ على أن لكل من الشمس والقمر مسارًا فلكيًّا دائمًا لا يُفارِقه، ومن ثم فمن المضحك أن نتمسَّك بحرفيَّة المعنى في الآية المذكورة بعد كل الذي قلناه وقالاه هما أيضًا، والعجيب أيضًا أن المؤلِّفَين يَعمَيان، أو بالحري: يتَعاميان عن أنه كان أولى بهما، بدلاً من تضييع وقتهما في محاولتهما الفاشلة لتخطئة القرآن الكريم، أن يحاوِلا إنقاذ الإنجيل مما أوقَعه فيه النص التالي مثلاً من ورطة مُخزية ليس لها من مخرج، قال متى: "ولما ولِد يسوع في بيت لحم في أيام هيردوس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاؤوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود؟ فإننا رأينا نجمة في المشرق وأتينا لنَسجُد له، وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدَّمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي، فلما رأوا النجم فرِحوا فرحًا عظيمًا جدًّا"؛ (متى: 1/2 – 10)، فها نحن أولاء إزاء نجم حجمه ضِعْف حجم الأرض مرات ومراتٍ ومرات، يتحرك من مكانه في الفضاء ويهبِط مُقترِبًا منها إلى حيث البيت الذي كان فيه الطفل الرضيع مع أمه وخطيبها السابق يوسف النجار، وهذا هو المستحيل بعينه، ولا يمكن توجيهه على أي نحو يخرِج كاتبه من الورطة الغبية التي أوقَعه سوء حظه العاثر فيها: إن النص لا يقول بأي حال: إن النجم قد صدَر منه مثلاً شعاع اتَّجه إلى المكان المذكور، بل قال: إن

النجم نفسه هو الذي اقترَب من البيت، كما أنه لم يقل: إن جماعة المجوس وجدوا النجم يقترب أو بدا لهم أنه يقترِب، بما قد يمكن أن نقول معه: إنهم كانوا يُهلوِسون، ومن ثم تنقذ كاتب الإنجيل من ورطته ولو على حساب جماعة المجوس المساكين – وأمرنا إلى الله – بل كان الكلام واضحًا قاطعًا في أن النجم هو الذي تحرَّك هابطًا حتى بات فوق المكان تمامًا!

وإلى القارئ شيئًا من النصوص القرآنية التي تُبيِّن أن هناك مسارًا سماويًّا دائمًا للشمس والقمر: {فالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا} [الأنعام:96] (أي بنظام وحساب دقيق)، {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ} [يونس: 5]، {وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} [إبراهيم: 33]، {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [لقمان: 29]، {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} [يس: 47]، {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا} [نوح: 16]، (أي في السموات السبع) {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير: 1] (أي خُلعت من مسارها يوم القيامة، بما يعني أنها لا تُفارِق هذا المسار قبل ذلك الحين)، وقد صادفتُ بحثًا في المشباك بعنوان: "Orbits of earth, moon, & sun 18 relevant verses regarding the sun's &moon's: orbit, rotation and life" لكاتب وقع باسم "Frank" يستشهِد بهذه الآيات وأمثالها على ما قلناه هنا، ويَرُدُّ من خلالها على من يتَّهِمون القرآن بأن ثمة أخطاء علميَّة في حديثه عن الشمس والقمر والأجرام السماوية، ثم إنه يؤكد أيضًا أننا ما زِلنا نقول حتى الآن: إن "الشمس غربت في البحر" كما جاء في الآية التي يدور حولها هذه المقال: "We still use expressions such as the sun set into the sea, as is used in verse 18:86"، وفي النهاية أُحبُّ أن أقول للقارئ: إن هناك وجهًا آخر في تفسير الآية الكريمة يجنِّبها كل هذا اللغط، رأيت ابن حزم في كتابه العبقري العظيم: "الفِصَل في الملل والنِّحَل" يقول به ويرفُض كل ما سواه، وهو أن الذي كان في "عين حمئة" ليس هذا الشمس، بل ذو القرنين نفسه، والمعنى حينئذ هو أن الرجل قد أدرَكه المغرب (أو أدرَك هو المغرب) وهو في العين الحَمِئة، وتركيب الجملة يسمح بهذا بشيء غير قليل من الوجاهة، وإن لم يكن هو المعنى الذي يتبادَر للذهن للوهلة الأولى، وشِبه جملة "فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ" في هذه الحالة سيكون ظرفًا متعلِّقًا بفاعل "وَجَدَهَا" وليس بالمفعول؛ أي: إنه يصوِّر حال ذي القرنين لا الشمس، وإن كان من المفسِّرين من يرفُض هذا التوجيه كأبي حيان في "البحر المحيط"؛ إذ يرى فيه لونًا من التعسُّف، وسأضرب لهذا التركيب مثلاً أبسط يوضح ما أقول، فمثلاً

لو قلنا: "ضرب سعيد رشادًا واقفًا" لجاز أن يكون المعنى هو أن سعيدًا ضرب رشادًا، وسعيد واقف، أو أن يكون المعنى هو أن سعيدًا ضرب رشادًا، ورشاد واقف، والسياق هو الذي يوضِّح ما يُراد.

وأخيرًا أختِم المقال بإيراد نص الرسالة التي بعث بها الأخ النصراني المهجري إلى العبد لله، والتي يصِلنا منها الكثير منه ومن أمثاله لكننا نُغضي عنها عادة ولا نحب أن نُشير إليها حتى لا يتحوَّل الأمر إلى مسألة شخصية، وهذا هو النص المذكور:

Mr. Ibrahim Awad

- In your article titled, "Sayed Qumni retires' , in the 8/20/05 issue of the Online El Shaab Newspaper. Even though the article subject was a critical review of Mr. Qurani,s response to a threat on his life, you could not help but inject your venomous hate to Christianity, Christians and the west at large. What concerns me here is that you made two, equally absurd, claims.
- First claim: Christianity needs Islam, because it is the only religion that witness to the legitimacy of the lord jesus Christ.
- Second claim: Denying mirale occurrence, matters not to Islam, Muhammad or the quran because of its absence in their make up. Unlike Christianity with it's theology that relies heavily on belief in miracles.
- To address the first claim: Make no mistake, Christianity never admitted that Islam is a God inspired religion, nor Christians ever appealed to Muslim,s god allah, his prophet Muhammad or the quran to vouch for it,s legitimacy. It would be absolutely inappropriate for God, jesus Christ, to ask a human to testify for Him. In the gospel of john chapter 5, the lord jesus Christ explained what would be acceptable as witness for Him. I chose 3 verses to quote.
- John 5:31" If I bear witness to myself, my witness is not true."He goes on to say in 5: 34 "But I receive not testimony from man, but these things I say that you may be

saved." hen he drives in the point in 5: 36" But I have greater witness than that of john (the Baptist). For the works which the father has given me to finish. The same works that I do bears witness of me that the father has sent me".

- You are a writer and your works are articles and books. We know you as good or bad writer through your works, likewise a taxi driver, his works is to drive safely his customers, a teacher's work is to teach and so on…, God,s work is to create. And all his works to us humans are supematural.
- No one else but Him can do it, we call it miracles.
- The works that jesus Christ did, mr. Awad, bears witness to Him, and all His works can only be explained as the works of God. No sane person can deny that God's works are miracles.
- Responding to your second claim: By contrast you claim that denying miracles, matters not to Islam.
- A close examination of this statement reveals fast that it is unfounded. On account that Hadith and sunnah recite that Muhammad experienced a miracle at the start of his mission. Whereupon, while in a cave in the mountain an angel Gabriel appeared to him then holding Muhammad three times and ordering him to read in the name of allah, sura 96% 1 - 5. He Muhammad -an illiterate man - learned to read. Would not you say that was a miracle of substantial importance to the advent of Islam.
- However the internal evidence within the quran reveals that it was a lie…!, Because if allah the creator had pertormed the miracle of causing Muhammad learned to read. It would have stayed with him for the rest of his life…! Alas a short while later when Muhammad had doubts about what allah says to him.
- Allah in sura yunis 10:94 says If you Muhammad had doubts about what I said to you then ASK those who read the Book before thee.. This clearly shows that if allah had

taught him how to read, then He would have told him in this sura to read what is written in the Book. The truth always has a funny way of being shouted out loud from the roof top of buildings and it prevails.

- Without miracles, how else can you explain the events of the Israa and mi'raj?
- No discussion of the quran miracles is complete without talking about what I call the Mother of all miracles. Most miracles we know of are recitation of a single supernatural event that ceased to occur anymore and there are no ways to verify it. Not so,with the mother of all miracles because it is an event that recurs once daily since the creation of earth and will keep going on strong usntil the hereafter. It is out there for every one to see and verify, should He/ she will. If you are now anxious enough to know about it, read sure El - kahf 18:83 - 85. In response to the people curiosity about where does the sun go at night…? The all knowing allah creator of the Earth and heavens provided the answer in the above said sura (18).
- In which allah instructed his macho man" Zul Qurnain" to follow the sun, so he followed it until he saw it submerse in a hot murky spring.
- The American philosopher Mark Twain said: "it is better to keep your mouth shut and appear stupid, than to open it and remove all doubts".
- Little did Allah and his prophet Muhammad know neither about mark twain, nor that the sun that appears to the human as big as a Basketball or a big round water melon, if you will, in the sky is actually the largest body in the solar system.
- Consider thest scientific fasts before you embark on doing unwise thing:
- The sun's diameter is: 1,390,000 kilometers.
- The Earth,s diameter is: 12,160 kilometers.
- That means that the sun is 115 times bigger than the

earth.

- downscale it to visualize it. The sun would be the size of a Basketball or a large round water melon, then the earth would be the size of one grapes and the hot murky spring, may be a dot, if can see it all, on the outer skin of this one grapes.
- need I say anything more to show how hopelessly impossible the situation is and how pathetically ignorant Allah and Muhammad turned to be.
- Tank you Mr. Awad, for giving me the challenge to respond to your unfounded allegations about Christianity and I pray that Lord jesus Christ would break the shackles and locks that holds a steal veil of darkness upon Muslim people mind, so they would come out from 1400 years of ignorance to the light of knowing the one and only true God; the Father, His Word (Jesus Christ); and the Holy Ghost.